## الفصل الثانى

## عصر الضعف والإنهيار

منذ تولي بطلميوس الرابع حكم مصر بدأ منحنى قوة دولة البطالمة في الهبوط تدريجيا حتى وصل إلى أدنى مستوياته زمن كليوباترا السابعة أخر ملوك البطالمة والتي شهد عصرها احتلال الرومان لمصر.

لم يسهم ملوك البطالمة في هذا العصر بإسهامات ملحوظة، ويبدو أن كليوباترا السابعة هي أشهرهم لذا سنتناول نبذة عن فترة حكمها لمصر، وقبل ذلك يجب أن نجيب على هذا السؤال، ما هي أسباب الضعف الذي دب في أركان دولة البطالمة مما جعلها تفقد سيطرتها في الداخل والخارج، وتتراجع في كافة المجالات ؟

**يمكن أن نلخص أسباب ضعف وسقوط دولة البطالمة في أربعة نقاط مهمة، وهي:**

1. من الجلي أن ملوك البطالمة في العصر البطلمي الثاني، لم يكن أحدهم يملك من القوة ورجاحة العقل وحسن التصرف شيئًا مما كان عند سابقيهم من ملوك العصر البطلمي الأول.
2. زادت ثورات الشعب المصري الذي حرم من المشاركة في حكم بلاده، إذ اقتصرت الوظائف المهمة في الدولة على الإغريق.
3. تراجع المشروعات الاقتصادية، وعدم الاهتمام بالحياة العلمية
4. زيادة نفوذ روما وتدخلها في الشئون الداخلية لمصر، بحكم أنها القوة العظمى في العالم أنذاك، خاصة بعد تراجع قوة دولة البطالمة وخضوع ملوكها لروما خشية غضب أباطرة الرومان عليهم.

• **كليو باترا السابعة** (51ق.م.-30ق.م.):

بعد وفاة بطلميوس الثاني عشر والذي عرف ب (الزمار) خلفه بنتين وولدين، كانت كليوباترا السابعة أكبرهم، وأوصى الزمار بأن يتزوج أكبر ابنيه من كليو باترا ويتوليان العرش سويًا، وكان زواج الأخوة شائعًا عند ملوك البطالمة للحفاظ على نقاء الدم الملكي على حسب زعمهم.

على أي حال، حاول أبناء الزمار انعاش دولتهم، وفي المقابل

كانت الحرب الأهلية في روما على أشدها، تلك الحرب التي اكتوى بنارها حوض البحر المتوسط بمجمله.

كانت كليوباترا من طراز الأميرات المقدونيات اللائي عشقن الحكم والمجد، ولا تتورع في التضحية في سبيله بكل رخيص وغال، كانت تتمتع بجمال وافر وجاذبية لاتقاوم ولسان زلف طري، واتخذت لقب ايزيس الجديدة.[1]

استغلت كليوباترا انتصار قيصر في الحرب الأهلية في روما، وقدومه إلى الإسكندرية، ورمت شباكها حوله حتى تزوجته وانجبت له ولدًا أطلق عليه اسم قيصر، وكناه السكندريون (قيصرون).

يبدو من ذلك أن كليو باترا لم تكن تهدف إلى الانفراد بحكم مصر فقط، بل طمحت في أن تشارك قيصر حكم روما وإمبراطوريتها الواسعة، ولم لا ؟ فقد استطاعت أن تربط اسمها باسم أقوى رجل في العالم حينئذ، يوليوس قيصر.

ولكن جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن، حيث قتل يوليوس قيصر، وبمقتله انقسم العالم الروماني إلى فريقين: فريق بزعامة ماركوس أنطونيوس و فريق بزعامة أوكتافيوس.

---

1- د.عودة عبد الواحد – المرجع السابق – ص78

شهدت الأحداث تطورًا سريعًا أدت إلى تقسيم الإمبراطورية الرومانية بين القائدين، حيث حكم أوكتافيوس القسم الغربي من الإمبراطورية، بينما ذهب حكم القسم الشرقي منها إلى أنطونيوس.

عادت كليو باترا لساحة الأحداث من جديد، لعلها تجد في أحد القائدين يوليوس قيصر جديد، وبالفعل استمالت أنطونيوس، وانجبت منه توأم هما ( هليوس – سيليني)، هذا في الوقت الذي شهدت فيه العلاقة بين أنطونيوس وأوكتافيوس المزيد من التوتر وكان السبب الرئيس في هذا التوتر هو اهداء أنطونيوس بعض الأراضي التي فتحها في الشرق إلى كليوباترا وأبنائها، الأمر الذي اعتبره أوكتافيوس وفريقه اهانة للدولة الرومانية.

على أي حال، نشبت العديد من المعارك بين أنطونيوس المدعوم من كليوباترا من جهة، وفي المقابل أوكتافيوس، إلَّا أن أهم هذه المعارك وأشهرها هي معركة أكتيوم البحرية قرب سواحل بلاد اليونان.

نال أسطول أنطونيوس والمدعوم بالأسطول البطلمي هزيمة ساحقة في أكتيوم سنة31ق.م. أمام أسطول أوكتافيوس، ولم يكن أمام أنطونيوس وكليوباترا إلَّا الفرار في اتجاه الإسكندرية.

تعقب أوكتافيوس كل من انطونيوس وكليوباترا إلى الإسكندرية، وقد تيقنا تماما أنهم في عداد الأسرى أو القتلى، فلا قبل لهما الآن بأوكتافيوس الذي دمر لهما معظم السفن في البحر، كما أعلنت بعض قوات أنطونيوس ولائها إلى أوكتافيوس.

لذا، فضل أنطونيوس الانتحار على أن يقع أسيرا في يد عدوه، ويقال أنه قام ببقر أمعائه بخنجره، ولحقت به كليوباترا والتي تعددت محاولاتها للانتحار وكانت تمنع في كل مرة، إلَّا أنها تمكنت من ذلك في النهاية بواسطة ثعبان الكوبرا حتى تموت موتة ملكية كما أرادت وتمنت.

وفي عام 30ق.م. كان أوكتافيوس قد أحكم سيطرته على مصر كلها معلنًا بذلك انتهاء عصر البطالمة، وتحولت مصر إلى مجرد ولاية رومانية، ولكن كان لها مكانة خاصة عند الرومان.